درس المعربات

كنت قد نشرت في هذه المجلة (١ : ١٣٨) مقالة بهذا العنوان ، ثم قيّض لي ان تغربت ، فكتب اليّ كثيرون من المستشرقين وجماعة من علمائنا ان أتابع البحث بما تيسر لي جمعه في هذا الباب ، إلا انني لم استطع ان البي طلبهم لتنقلي من موضع الى موضع وكثرة الاشغال التي كانت تحول دون مافي النفس من الاماني ، اما الآن وقد عدت الى الوطن، فاني اعود الى هذاالبحث لما يتركب عليه من الفوائد الجمة الجُلّى فاقول:

(١٤) الظَـرْبُول . بفتح الظاء المشالة المعجمة ، ولم اجدها إلا في محيط المحيط ، مع كثرة المعاجم العربية التي بيدي . وهنا يظهر فضل محيط المحيط على سائر الدواوين اللغوية ، إذ نرى صاحبه قد دوّن شيئاً غير نزر من الالفاظ التي يظن انها عامية أو مولدة ولم يذكرها غيره . والحقيقة هي ان عدداً جماً من تلك الحروف هو معرّب أو مولّد ويجب ان يحرص عليها كل الحرص وان تدرج في كتب متون اللغة . ولا سيما تلك الدواوين التي يتداولها الطلبة أو سواد الناس والكتاب . نعم ان كثيرين يشمئزون من اتخاذ تلك الالفاظ ، لكن ذلك وهم إذا لم يكن لها مرادف في اللسان المبين . ومن جملة هذه الكلم المعدودة عامية هذه اللفظة وهي معربة عن اليونانية « اربول » بعد حذف سمة الاعراب كما هو المألوف في هذا الامر . وهي في تلك اللغـــة arbulê

قال في محيط المحيط : الظَرْبُول(وضبطها على وزن عصفور) حذاء ضخم . عامية. ولم يزد على هذا القدر . اما عندنا نحن العراقيين الذين على طف الفرات وفي البادية الشامية فالظربول تلفظ عندنا بفتح الاول وضم الباء ويريدون بها حذاء ضخم او كما يقولون : جزمة يلبسها شيخ الاعراب أو كبير القوم أو المتجند من أهل البادية . وكثيراً ماتكون صفراء اللون وفي مقدم رأسها المجاور للساق عثكولة أو عثاكيل وقد يكون في عقبها مهماز إذا كان لابسها ممن يركب فرساً . وسمعت بعضهم يقول فيها الأَرْبُول كأنه علم ان اصلها بالهمز لابالظاء . واما الاقدمون من اليونان فانهم كانوا يريدون بها : الحذاء الضخم brodequin يلبسه القرويون والفلاحون والصيادون والمسافرون

إلى غيرهم ممن يعاني السير الكثير . ويراد به عندهم أيضاً خف المركبة ذلك الخف الذي تدخل فيه قـدَما الراكب سائق العجلة .

لكن كيف نقلت (أرْبُول) اليونانية إلى (طُرْبُول)العربية . انهم أبدلوا الهمزة ظاءً على ما نص عليه علماء اللغة . فقد قال الازهري وتبعه جماعة من محققي اللغويين : ان العرب قد تعاقب بين الظاء والهمز . فقد قالوا : فلان مِئنّة في معنى المظنة وبيت حسن الاهرة والظهرة ، وقد افر وظفر أي وثب . الى غيرها . ففهم من هذا أن الكلمة معربة ، ويجوز لكل كاتب أن يتخذها وعلى اللغويين أن يرحبوا بها في كتبهم ويزيدوا لها معنىً جديداً هو المعنى المذكور في اللغة اليونانية ونقلناه عنهم هنا .

واما ان العرب يذكرونها بوزن عصفور فليس ذلك صحيحاً فان اللغة المشهورة هي بفتح الأول ، وكذلك هي في اليونانية . اما العرب فانهم اعتبروا هذا الوزن مضموم الأول إلمْ يكن هذا الأول ياء فيفتح فيقال يعفور ويعسوب ويبروح بفتح اوائلهن . مع ان سائر اللغات الاخوات تنص على الفتح ولو لم يكن الأول ياءً فهذا الشحرور للطائر الصغير الأسود الحسن الصوت فانه إرَمي[1] لا عربي ومعناه في لسانهم الاسيود وأوله عندهم مفتوح بخلاف ما جاءَ في لغتنا فهو عندنا مضموم . فانت ترى من هذا ان السلف ضم الحرف الأول اعتباطاً وجرياً على لغة عندهم وان كان عند العرب المجاورين للارميين لغة أخرى هي لغة الفتح قديمة ومعروفة .

وقد جاءت لغة ثانية في الظربول وهي الزربول بالزاي وقد ذكرها محيط المحيط ولم يذكرها غيره . قال : الزربول (وضبطها كعصفور بالحركات) نوع من الاحذية . عامية . جمعها زرابيل . اه قلنا : وهي لغة فاشية في سورية ومصر وغيرهما من بعض

(١) لم يصرح أحد بانها ارمية مع وضوح هذا الأصل ومعناه في لغتهم « الأسيود » تصغير الأسود . وهذا الطائر مشهور بسواده . ولهذا يقول الفرنسيون من باب العزة rare comme un merle blanc أي نادر كالشحرور الأبيض وهو كقولنا : اندر من الكبريت ، واعز من الغراب الاعصم . وأعز من بيض الانوق . ولم يذكر فرنكل هذه اللفظة في كلمِ الارمية وكذلك لم يصرح بعجمة هذا الأصل سائر أصحاب الدواوين من عرب وعجم . فلتحفظ .

ديار العرب ، يجعلون الظآء زاياً . والعراقيون لا يعرفون هذه اللغة القبيحة . ومع ذلك فهي قديمة إلا أنها في غاية الندرة فقد قالوا : مَحَظَـه' وحزه أي عصره .

وسمعت أناساً يتلفظون بالظربول بصور شتى منها ظربون وزربون وهي لغة قديمة عند العرب يجعلون فيها اللام الأخيرة نوناً . (راجـع أمثلة كثيرة في المزهر طبعـة بولاق الأولى في ١ : ٢٢٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦) وهي كثيرة .

وقد ذكر دوزي في كتابه (الملحق بالمعاجم العربية) رأياً في كلامه عن الزربول ننقله إلى القراء من أبناء لغتنا الشريفة قال : ان اسم هذا الضرب من الحذاء من اليونانية serboula وهو اسم حذاء العبيد في القسطنطينية على ما قاله قسطنطين المولود على البرفير (أو قسطنطين برفيروجينيت) . وقد استشهد بكلامه دفريميري في مذكراته ١٥٦) ،الاّ أن الكاتب يزعم – وزعمه غير صحيح – ان هذه الكلمة من السربية serbloi وعنـدي انهـا تأتي – على خـلاف ما يدعي – من سرفس servus كما ان سرڤلا servilla الاسبانية (وهي ضرب من الأحذية تكون من السختيان وذاتِ طراقٍ واحدٍ) تأتي من سرڤه Serva (أي أمة) لأن الإماء يستعملنها . والظاهر ان العرب ايضاً كان عبيدهم يتخذون نوعاً من الكَوْث (أو البابوج) لان القارىء يرى في كتاب الف ليلة وليلة في الليلة الثانية : ٢٥ : « ألبس زربولاً على عادة العبيد » ولما كان لابس الزربول يحتقر للبسه اياه اصبح الزربول كلمة شتم يشتم بها النصارى . راجع كتاب الف ليلة وليلة طبعة برسلاو ٧ : ٢٧٨ س ١٣ : « يازربول ، لماذا تتبعني » واما اليوم فيراد بالزربول حذاء ضخم كما في بقطر ومهرن ٢٩ ، إذ يقول هذا : « الزربول جزمة كبيرة حمراء ذات عنق واسع وانفها إلى فوق وفيها عقب من حديد » ولهذا لاتكون اليوم للعبيد بـل للشيوخ وكبار القرى وهم كثيراً مايتباهون بها . راجـع المجلة الالمانية ١١ : ٤٨٣ العدد ١١ . اه كلام دوزي .

وعليه انك ترى ان رأينا اصح لما فيه من صحة الانطباق على الاصل بخلاف مذهب دوزي فانه يحتاج إلى عَمَد يقوم عليها .

(١٥) العود بمعنى آلة من آلات الطرب مُعرَّب في نظري لان ليس في اصول هذه الكلمة مايثبت صحة اشتقاقه منه . وهو عندي من (ôdé, és) ومعناها الغناءُ والطَرْق

والنشيد والانشودة وأصل وضعه آلة العود اي آلةالغناء فحذفوا المضاف وابقوا المضاف اليه كما هو من جاري عادتهم ، ولا سيما لان اغلب آلات الطرب دخيلة . كالصنج والونج والارغن والقيثارة والناي والسرناي إلى غيرها .

ومن الغريب ان ابناء الغرب عادوا فأخذوا الكلمة من العرب وقالوا Luth (أي العود) وخصوها بالعود العربي .

(١٦) الحَرْبَة للآلة الجارحة من اليونانية harpè معنىً ومبنىً وتجيء الحربة عندهم أيضاً بمعنى المنجل والسيف المنحني والعَقّاف يسيَّر به الفيل والابغث لطائر يُعرف بعدة اسماء عند العرب وهي البَلَّح والبُلَّت والهُماء والهُماي والهُما والهايون والاغثر والمكلفة وكاسر العظام Aigle de mer .

(١٧) الحَرَب عندنا نحن العرب : َذكر الحبارى وقيل الحُبارى كلها(التاج)ذكرها او انثاها . والكلمة جاءتنا من اللغة الارمية فهي في هذه اللغة « حوُرْبا » واختلفوا في معناها . فقد وجدتُ في « دليل الراغبين في لغة الآراميين » للقس يعقوب اوجين منّا الكلداني في ص ٢٦٠ مايقابلها في العربية : خرب ، لقلق ، ابو حُدَيْج (٢)وقيل عقعق . عقاب ، أو طائر آخر كالهدهد . انتهى . فاختلاف الاقوال في مسماه علامة بينة على عجمة اللفظة .

وذكر پاين سمث الانكليزي في مادة (حوربا) بين معاني اللفظة هذه ، اسماء أخرى قال : ardea (أي مالك الحزين) أواللقلق أوابوحُدَيج ciconia وmilvus (أي الحدأة) و caprimulgus (السُبد) و pica (أي العقعق) وذكر بين اسمائه العربية الحَوْجج وابو خُدَيْش وهما من اسماء اللقلق عند عوام العراق في سابق العهد . وكل هذا الاضطراب في تعيين المعنى الاصلي ناشيء من عجمة اللفظة . وعندي ان المعنى الصحيح هو انه معرب harpè اليونانية أي الحَرَب بمعنى ضرب من عُقاب البحر . ومما يزيدني يقيناً في هذا الامر قول الراجز وقد نقله سيبويه في كتابه :

تقضّي البازي إذا البازي كسر أبْصَرَ خِرْبَانَ فضاءٍ فانكدر

والبازي لايتقضّى ولا ينكدر لو كانت طير الفضاء من الطير غير الجارحة كالحبارى واللقلق والعقعق والسُبَد والحدأة ومالك الحزين ، وانما ينكدر إذا رأى شيئاً من

الجوارح التي هي اقوى منه واشد باساً أي إذا كان الطائر مثلاً عقاب بحرٍ أو عقاب برٍ أو بازاً أو صقراً أو نحو ذلك .

والبغداديون وبعض العراقيين يريدون بالخرب (وهم يلفظونها على وزن ابـــل) طائراً أسود اللون أحمر المنقار طويل الرجلين يغوص في الماء وربما عبر النهر وقد غط فيه . هذا ماقاله لي أحد الادباء . ولما وقفت على مايريده بهذا الاسم وجدته المسمى عند الافرنج Porphyrion أو Poule sultane وهذا الطائر لايغوص في المـــاء وانما يعيش في البطائح والمستنقعات .

ومهما يكن من الامر فان العرب اعتبرت الخرب من الطير الجارحة مرة على ما مر بك . واخرى من الطير غير الجارحة ومنه المثل عندهم : «مارأيتُ صَقراً يرصُدُهُ خَرَبُ» يضرب للشريف يقهره الوضيع

ومن غريب امر هذا الطائر ان اسمه اليوناني نقل الى لغات المحدثين من الافرنج إلى معان مختلفة فمن قائل انه خرب البوم ومن ذاهب الى انه الزُمَّج ومن مصرح بانه السُبَر إلى غير هذه الآراء وقد يتمكن كل امرىء أن يقف عليها إذا ماقبض بيده على معجم يوناني افرنجي .

وقد مرَّ بك ان مثل هذ الامر وقع في الكلمة الارمية وتعيين معناهـــا الحقيقي فلا ملامة بعد هذا إذا كان السلف الصالح اختلف في معناه ، فقد يقع لقبيلة انها تريد باللفظ مسمى لاتريده القبيلة الاخرى وهو ممايستطيع ان يلاحظـــه كل اديب يتتبع اقوال المؤلفين الاقدمين .

(١٨) التُرتُور . الجلواز والشرطي . ولم يقل احد بانه دخيل والحال ان عجمته واضحة فهو معرب اللاتينية tortor وقد صحفه اللغويون بصور عديدة ، اذكر منها ماوقعت عليها وهي : التؤرور والثؤرور (بالمثناة والمثلثة) واليورور (بالمثناة التحتية) والاترور .

(١٩) ذئب خُرْت وهو معرب واصله عند العرب : الذئب الخُرْت أو الخُرت الذئب أي أن الخرت هو الذئب أو بالعكس لكن ظنوا ان الخرت نعت للذئب وهو خطأ لانه تعريب Kerdô,oos والعرب قد تريد بالذئب الثعلب كما أوضحناه في غير هذا الموطن . ولهذا فالصحيح ان الخُرت هو الثعلب لا الذئب . وهو اسم لانعت فمن احب يرجع الى

الاصل ومن شاء يعمل بما اقرّته عليه العرب . فللكاتب الخيار بعد وقوفه على الحقيقة .

(٢٠) عامر وهو من الارواح عند العرب وهو تعريب اللاتينية Amor وكثيراً مايصور بصورة ملاك عند الاقدمين . ويقول الفرنسيون c'est un amor أي انه بحسن عامر (يقال عن الاشياء كما عن الناس) ومرادهم حَسَن في غاية الحسن ، أو بديع الجمال .

بغداد : الاب انستاس ماري الكرملي

فوائد لغوية

المِئناث = المعتادة ان تلد الانثى وكذلك الرجل لانهما يستويان في وزن مفعال

المِذكار = المعتادة ان تلد الذكور كثيراً

المِعقاب = التي من عادتها ان تلد ذكراً بعد انثى

العيّار = الكثير الطواف أو الذي يتردد بلا عمل وهو المعروف بالمتشرد وقال ابن الانباري العيّار من الرجال الذي يخلي نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها

الهجوريّ = طعام نصف النهار وتسميه العامة الغداء

الشّبوب = ماتوقد به النار من دقاق العيدان

نُشافة اللبن = مايعلوه من الرغوة عند الحلب

الطُفاحة = مايعلو وجه القدر ويجتمع إلى شفتها والعامة تسميها الزفرة

السعوف = الاقداح الكبار وامتعة البيت

التات = الزاد يقال خذ بتاتك . والجهاز ومتاع البيت

المسبار = الميل الذي يسبر به الجرح ومثله المدس

انيس سلوم